

الصعوبات المفتعلة على درب التعريب

للأستاذ الدكتور جميل الملائكة -
أستاذ الهندسة المدنية بجامعة بغداد
(عضو انجمن العلمي العراقي)

جاهزا لكل فكرة علمية دقيقة أو كشف علمي جديد. وإنما يضع العلماء، هم أنفسهم، اللفظ العلمي، وهم يستعينون بأهل اللغة في ذلك كلما دعت الحاجة إليه. ولو لم يكن الأمر كذلك لتأخرت مسيرة العلم في العالم المتقدم كثيرا. ومثل هذا فعل أسلافنا عندما نقلوا إلى العربية علوم اليونان والهند إبان ازدهار الحركة العلمية والحضارة في العالم العربي القديم. فهم لم ينتظروا حتى تزوّدهم هيئات علمية ولغوية بالألفاظ التي استعملوها في لغة العلم. ومثال ذلك أنهم وضعوا لفظ (الجبر) لهذا العلم الذي ابتكروه، واختاروا لفظ المنطق ليقابل اللفظ اليوناني Logikos، وآفا من الألفاظ العلمية من هذا القبيل. وفي هذا العصر الذي سيمته السرعة، لا يمكن أيضا لأصحاب الأبحاث العلمية المتزايدة، والفكرات المتطورة، والكشوف المتجددة يوما بعد يوم في العالم المتقدم، أن ينتظروا كل مرة ريثما تجتمع الجماع والهيئات لتضع لهم لفظا علميا أو تُقرّه للاستعمال.

نفرض ابتداءً أن حتمية التعريب أمر مفروغ منه، وأن في العودة إلى الكلام عليه تكرارا مملاً نحن في غنى عنه. ومن ثم فمن أولى المشكلات أنه ما زال بين المثقفين أناس يتخوفون من التعريب، أو هم لا يؤمنون بقضيته، فيختلفون في سبيله العقبات ويفتعلون أمامه الصعوبات.

هل نتظر إكمال المصطلحات قبل البدء بالتعريب؟

فمن ذلك ما يجري الكلام عليه بين حين وآخر من عدم توفر المصطلحات العلمية الكافية لسد حاجة التعريب، والقول بأن سعة المواد العلمية، وسرعة نموها في هذا العصر، مما يستلزم أضعاف ما أعدته وتعدّه الجماع والهيئات المختصة من هذه الألفاظ العلمية. إن هذه النظرة إلى الموضوع هي خاطئة في الأساس. فليس المفروض أن يجد أهل العلم عند الجماع والهيئات المعنية بالتعريب مصطلحا

لا يصبح اللفظ مصطلحا إلا بعد تداوله :

منها وإقراره. وعلى هذه الشاكلة مثلا يكاد مصطلح Relative Density في الانكليزية أن يُزيج مصطلحي Specific Gravity و Specific Density للكثافة النسبية في الفيزياء، لكون الأول أوضح وأجدر، بالبقاء. وهكذا تغلب مصطلح Roughness على Rugosity للدلالة على خشونة سطوح القنوات في علم الري وجريان الموائع، وزال مصطلح Fluxion لمعنى (المشتقة) في الرياضيات وبقي مصطلح Derivative.

وعلى هذه الشاكلة أيضا بقي عندنا مصطلح (مربع) في الرياضيات، أي حاصل تربيع العدد، وزال مصطلح (مال) الذي استعمل قديما للمعنى نفسه، وبقي (المفعول لأجله) أو (المفعول له) في النحو وزال لفظ (العذر)، وبقي علم (الفلك) وأزال كلا من مصطلحي (الهيئة) و(الأسطرونوميا) وكان هذا الأخير قد استعمل في بادئ الأمر، وبقي مصطلح (المياه الجوفية) وزال مصطلح (المياه الخفية)، وبقي علم (المثلثات) وكان في زمن ما يسمى أيضا علم (الأنساب) لعلاقته بالنسب المثلثية، ومثل هذا كثير.

ليس عدم التوحيد عقبة في درب التعريب :

إنهم على أية حال يبالغون في أهمية هذا التوحيد والادعاء بأنه العقبة الكأداء في درب التعريب. فقد يبقى في الاستعمال مصطلحان لمعنى علمي بعينه زمنا طويلا دون أن يُزيج أحدهما الآخر، بل قد يبقى عديد من المصطلحات للمعنى الواحد ولا يكون كبير ضرر في ذلك. وهكذا نجد بعضهم يعبر في علم الاحصاء عن مجموعة الأشياء التي تؤخذ منها عينة للاستدلال منها على نمط التغير في المجموعة بلفظ Universe، ويعبر عنه بعض بلفظ Population، وبعض بمصطلح Bulk، ويستعمل آخرون التعبير Parent distribution⁽¹⁾. وفي هندسة التعدين

إن وقفة بسيطة على المراد بكلمة (مصطلح) يمكن أن تدل على الكثير في هذا الشأن. فاللفظ الذي يضعه فرد أو هيئة لدلالة علمية أو حضارية معينة لا يمكن أن يُصبح (مصطلحا) إلا بعد أن (يُصطلح) ويتواضع عليه المشتغلون بذلك العلم أو المعينون بذلك الجانب من الحضارة. أما قبل ذلك فهو لا يعدو كونه لفظا مقترحا دعت إليه الحاجة الآتية للتعبير عن فكرة علمية أو حضارية. ومن ثم فلن يمكننا الحصول على أي مصطلح، بالمعنى الحقيقي، إلا بعد وضع اللفظ المقترح في حيز (الاستعمال). أي أن (التعريب) هو الذي يصنع لنا المصطلحات، وليس العكس، ولا بد لنا من أن ندخل في مجال تعريب العلم لنحصل على مصطلحاته. إن حجة القائلين بالتريث في التعريب ريثما تكتمل المصطلحات متهافنة أساسا فهي تنقض نفسها بنفسها

التعريب هو الذي يُفضي بالمصطلحات إلى التوحيد :

ويُفضي بنا هذا الحديث إلى أولاء الذين يقولون بالتريث في التعريب ريثما يتم (توحيد) المصطلحات. ولكن أي مصطلحات. توحد إذا لم تدخل الألفاظ المقترحة مجال الاستعمال؟ وأني يجري التوحيد إذا لم يتناد العلماء لتبادل الرأي في الألفاظ العلمية العربية التي استعملوها في تدرساتهم وفيما ينشرونه في بحوثهم وكتبهم المؤلفة باللغة العربية أو المترجمة إليها؟ إن استعمال هذه الألفاظ والمصطلحات هو الذي يميز بعضها على بعض، وإن تداولها هو الذي يؤدي في الآخر إلى اختيار الأصلح

Grant, E.L.-Statistical Quality Control, Mc Graw-Hill, p.72, New York, 1946.

(1) انظر :

الدوريات العلمية تواكب ترسيخ اللغة العلمية ولا تسبقه :

ومثل ذلك حُجَّة القائلين بالانتظار حتى تظهر المجلات والدوريات التي تنشر البحوث باللغة العربية، فكأنهم بذلك يريدون بدء الموضوع من نهايته. ولكن بأي لغة علمية تُكْتَب هذه البحوث إذا لم ترسخ اللغة العلمية أولاً بممارستها بالتدريس وتهديب مصطلحاتها بالخطاب في معاهد العلم ومنتدياته ومؤتمراته ليتمكن منها المتعلم والمعلم والباحث والعالم؟ ولئن تُكْتَب هذه المجلات إذا كان القارئ لم يمارس اللغة العربية العلمية وكانت متابعاته العلمية اليومية ودراساته كلها بلغة أجنبية؟

العربية أوفر عطاء من كثير من اللغات العلمية :

وأبطل من ذلك ادعاء بعضهم ضعف اللغة العربية وعجزها عن وعاية علوم العصر والنهوض بمتطلباتها، وتلك أظلم تُهْمَة اقترفها الأجنبي بحق لغتنا في زمن الاستعمار والتبعية، وبقيت مخلفاتها تضلل عقول بعض الجهال حتى يومنا هذا. فليست العربية بأقل عطاء من عشرات اللغات التي اعتز بها أهلها، ولم تسمح لهم مشاعرهم القومية بالتخلي عنها، فاستعملوها للعلوم؛ فاستوعبتها جيدا ولم تقصُر عنها في شيء. بل أن العربية أغنى في خصائص الاشتقاق والمجاز والقياس من كثير من اللغات التي باتت تُدعى اليوم باللغات الحية زيادة في الثلب والنكاية في لغتنا.

وقد يتأثر بعض أولاء بلغة أجنبية درسوا علومهم بها واستدعت دراستهم تعلم جانب من

تعددت المصطلحات الدالة على الدلو الكبير المتخذ لرفع العمال والماء والحجارة والأدوات من المنجم فهو Hibble وهو Bowk وهو Hoppit وهو Skip وهو Sinking bucket (2). وفي هندسة البناء قالوا للحرزة التي تلبس حول الحافة الداخلية للشباك المنزلق، لمنع جزئه الداخلي من التراجع إلى داخل الغرفة Guard bead و Inner bead و Window bead و Stop bead و Inside stop. وتعددت المصطلحات المستعملة للخشبة المائلة لاسناد ما بين عارضتي السلم العريضة فهي مرة Carriage ومرة Rough string وتارة Bearer وأخرى Stair horse (3). وفي الهندسة المدنية استعملوا للأرض التي تمدّ نهرا في نقطة معينة وتقع بين جرفين مرتفعين في أعلى تلك النقطة تارة Catchment وأخرى Gathering ground ومرة Watershed ومرة Catch basin وأخرى Drainage area، هذا إذا لم نذكر Catchment area و Drainage basin (4).

وثمة الكثير من أمثلة تعدد المصطلحات عندهم للمدلول الواحد على هذه الشاكلة، وهو حاصل في مختلف فروع المعرفة، وأكثر منه ما يقتصر فيه عدد المصطلحات للمدلول الواحد على اثنين أو ثلاثة، وهو أمر طبيعي في كل لغة مُفعمة بالحياة ينتشر استعمالها في رقعة كبيرة من الأرض. ولكن كل ذلك لم يؤخر مسيرة العلم عندهم قط. فليس عدم وحدة المصطلح بذاته هو العائق الحقيقي لتقدم العلم، وإن يكن الأفضل أن نحاول تجنبه لتقليل اللبس، وإنما العائق الحقيقي من ذلك هو ما يفعله الذين لا يؤمنون بالقضية.

Scott, John S.- A Dictionary of Civil Engineering. Third Edition, Penguin Reference Books, London, 1980.

(2)

Scott, John S.-A Dictionary of Building, Penguin Reference Books, London, 1975.

(3)

Nomenclature for Hydraulics, American Society of Civil Engineers, N&w York, 1962.

(4) وانظر ايضا المرجع (٢)

أو Raging أو Ragingly، أو تُلصق به سابقة ولاحقة مثل Enraged و Enraging و Outraged و Outraging و Outrageous و Outrageously و Outrageousness.

أما مقابله العربي فهو يأتي (مجردا من الزيادة) بصيغة الفعل (غَضِبَ) والمبني للمجهول (غَضِبَ) عليه، والمصدر وهو (غَضَبٌ) والمبالغة (غَضِيبٌ) للشديد الغضب. ويدخله (الحشو) فهو (غاضِبٌ) للفاعل، وهو (غضوبٌ) للمبالغة بمعنى الكثير الغضب، والداء منه (غضابٌ) للجُدري أو قذى العين، ويقال (غَاضَبٌ) فلان فلانا. وهو يُصدَّرُ (بسابقة) فيقال (أغضب) فلان فلانا. وهو يصدَّرُ (بسابقة) فيقال (أغضب) فلان فلانا، و(مُغضِبٌ) للفاعل، و(مُغضِبٌ) للمفعول، ويقال (استغضب) عليه بمعنى غضب. وهو يكسع (بلاحقة) فيقال في الوصف (غضبان) و(غضبانة) و(غضبي)، والمرة (غَضْبَةٌ). وقد تدخله اثنان أو أكثر من هذه الزيادات أو تغيير الحركات، ومنه في المصدر (مغضبة)، ومنه (تغاضب) القوم، واسم الفاعل (متغاضب)، والمصدر (تغاضب)، ومنه (المغاضبة) مصدر غاضب، وللفاعل (مغاضب)، وللمفعول (مغاضب)، ويقال (تغضّب) إذا اشتد غضبه، و(الغضائبي) الكدير في معاشرته. وكثير مما جاء في أسماء هذا الباب يمكن جمعه إما سالما أو مكسرا، أو تمكن النسبة إليه، أو عمل المصدر الصناعي منه، وغير ذلك من الاشتقاقات الكثيرة مما لم نذكره.

المجاز :

أما مجال توسيع معنى اللفظ العربي بالخروج من حقيقته إلى المجاز فكان ومازال من أوسع الأبواب في اغناء اللغة العربية. وقد يكفي للتمثيل في هذا الباب إيراد هذا الفعل (ضَرَبَ) الذي أصل معناه (الصدم أو الإصابة بعضا أو غيرها). فقد خرج منه

قواعدها وأصولها فيدينون لتلك اللغة بولاء عجيب يتجاوز حد المعقول ويؤهّدهم بالعربية ويصرفهم عن الايمان بمقدرتها على استيعاب العلوم ويجدوى التعريب. ولعل كثيرا من هؤلاء لم تسنح لهم الفرصة للاطلاع على دقائق اللغة العربية ولطف خصائصها في التعبير وسعة عطائها في الوضع والاشتقاق والمجاز، ولو تسنى لهم اكتناه بعض ذلك لما وقفوا منها هذا الموقف المتهاون الظالم.

اللغات تختلف في خصائصها وطرائقها :

فاللغات الأوربية التي هي من أصول لاتينية أو يونانية مثلا هي بطبيعتها (إصاقية). أي أن كثيرا من ألفاظها يتألف من (جذر) ثابت لا يتغير في الأغلب، وهذا يمكن أن يغير معناه بإصاق (سابقة) أو (صدر) في أوله، أو بإصاق (لاحقة) أو (كاسعة) في آخره، أو بكلتا الأثنين.

العربية اشتقاقية وإصاقية :

أما العربية فتمتاز على تلك اللغات بكونها (اشتقاقية) فضلا عن كونها (إصاقية). أي أن أصل ألفاظها الثلاثية الحروف في الأغلب، يمكن أن يدخله (حشو) بين حروفه، أو (سابقة)، أو (لاحقة)، أو أكثر من واحدة من هؤلاء، فضلا عن أن حركات بعض حروفه الأصلية والزائدة قد يدخلها التغيير فيتغير المعنى.

ويمكن بقليل من التأمل، إدراك مدى الزيادة الكبيرة في احتمالات الاشتقاق والتوليد في اللغة العربية على سواها من اللغات اللاتينية واليونانية الأصول.

ومثال ذلك أن الفعل اللاتيني الأصل Rage بمعنى (غضِبَ) يمكن أن يُصدَّرُ بسابقة ليُصبح Enrage أو Outrage، أو يُكسع بلاحقة مثل Raged

على انجاز بضْع عشرات المعاني والدلالات، ومنها :

(ضرب الشيء) إذا تحرك، و(ضرب الليل) إذا طال، و(ضرب القلب) نبض، و(ضرب العرق) اختلج، و(ضربت السن) اشتد وجعها، و(ضرب الزمان) مضى، و(ضربت العقرب) لدغت؛ و(ضربته العقرب) لدغته، و(ضرب على يده) حجر عليه، و(ضرب الخيمة) نصبها، و(ضرب النقود) سكتها وسبكها، و(ضرب على الرسالة) ختمها، و(ضربت العنكبوت بنسجها) خيتمت، و(ضرب له موعدا) عيّنهُ، و(ضرب عنه صفحا) أعرض عنه، و(ضرب في مجاهل الأرض) ذهب فيها وأبعد، و(ضرب العود) عزّف به، و(ضرب إلى الحُمرة) مال، و(ضرب له مثلا) ذكره له، و(ضرب له في ماله نصيبا) جعله له، و(ضرب بنفسه الأرض) أقام فيها، و(ضرب في الماء) سبح، و(ضرب فلانا عن فلان) كفه عنه، و(ضرب بينهم) أفسد، و(ضرب في الأمر بسهم) شارك فيه، و(ضرب عليه النعاس) غلبه، و(ضرب الدهر بين القوم) فرّق بينهم، و(ضرب به عرض الحائط) أهمله واحتقره، و(ضرب الخاتم) صاغه، و(ضرب عليهم الجزية) فرضها، و(ضرب الليل بظلامه) أقبل، و(ضرب عليه الحصار) حاطه وضيق عليه، و(ضرب الشيء بالشيء) خلطه، و(ضرب عليه الدّلة) أدّله، و(ضرب عن فلان الشيء) أمسكه عنه، و(ضرب في البوق) نفخ، و(ضرب بدقنه الأرض) جبن وخاف، و(ضرب بالقِداح) أجالها، و(ضرب الصلاة) أقامها، و(ضرب العدد في العدد) كرّره بقدره، و(ضرب أحماسا لأسداس) سعى في المكر والخديعة. فأئى لغة تتسع ألفاظها لمثل هذا القَدْرِ من توليد المعاني بالانجاز.

لا تُخضع العربية لقواعد لغة أجنبية :

ومن مظاهر تقديس اللغة الأجنبية عند بعضهم أن يريدوا إخضاع اللغة العربية لقواعد هذه

اللغة أو تلك، وتطويعها لأساليبها في الاشتقاق والتعبير، مع أن لكل لغة طبيعتها وطرائقها التي تتميز بها عن سواها، ولا سيما اللغات المتباعدة الأصول.

ومن ذلك ما يحاولون تكلفه من التزام ترجمة كل لفظة أجنبية مصدرة بسابقة أو مكسوة بلاحقة، أو كليهما، بلفظة عربية واحدة، وكأن ترجمة اللفظ الأجنبي في بعض الأحيان بلفظين عربيين عقبة كئود في طريق التعريب. هذا فضلا عن أن بعضهم يرى ضرورة التزام صورة ثابتة لترجمة السابقة أو اللاحقة. وكل هذا من العبث الذي لا طائل فيه. فالترجمة تتحكم فيها عوامل كثيرة من بينها طبيعة اللغة، والذوق، والسَّماعُ وتجنب اللبس، الخ، والمهم تكافؤ المعنى بين الأصل والنص المترجم مثلما لا تستوجب صحة المعادلة الرياضية وتساوي عدد الحدود في طرفيها.

ولو نظرنا إلى القضية من وجهة معاكسة وتدارسنا ما يمكن أن يترجم به إلى الانكليزية معنى (الطلب) في (الألف والسين والتاء) من صيغة (استفعل)، وهو بعض معاني هذه السابقة، أو معنى (التشريك) في صيغة (تفاعَلَ)، أو (التكثير والتشديد) في صيغة (فَعَّل) المضعفة العين، أو (التعدية) في صيغة (أفعل)، أو معنى (البناء للمجهول) في صيغة (فعل)، أو معاني الكثير مما عدا ذلك من الأوزان وحروف الزيادة، لما وجدناهم يترجمون أيّا منها بلفظة واحدة، بل إننا لا نجد عندهم، في الأغلب الأعم، سابقة أو لاحقة لكل من هذه المعاني. وعلى هذا قد يترجمون لفظ (استنجد) بعبارة He asked for help مثلا، أي (طلب النجدة)، ولا يجدون ضيرا في ذلك، و يترجمون (تضاربوا) بعبارة They hit each other أي (ضرب بعضهم بعضا)، و(قتلهم) He perpetrated slaughter upon them أي (أوقع بهم مجزرة)، و(أنامه) He put him to sleep أي

(جعله ينام)، و(سُرِق) He was robbed. والأوروبيون لم يخطر ببالهم، حتى في زمن ترجمة الكتب العربية إلى لغاتهم، أن يبتدعوا سوابق أو لواحق لمقابلة أمثال هذه الاشتقاقات أو الصيغ، وهي كثيرة. وهم لن يُجهدوا قرائحهم في ذلك لأن فيه تكلفاً لا مسوغ له. فضلاً عن أن لكل من تلك الزوائد والصيغ معاني أخرى غير التي ذكرنا. فصيغة (استفعل) مثلاً قد تأتي لغير الطلب كما في (استحسن) و(استقام)، و(أفعل) قد لا تكون للتعدية كما في (أساء) و(أحسن)، وصيغة (فعل) قد تكون لغير المجهول كما في (جُن) و(ذهِل)، الخ.

وكذلك لم يُثر أسلافنا مثل هذه المشكلة عندما ترجموا علوم اليونان والهند. فلم تقف السوابق واللواحق اللاتينية واليونانية مثلاً عقبة أمامهم في طريق التعريب، ولم يشغّلوا أنفسهم يوماً ما باختراع سابقة أو لاحقة تُلصق باللفظة العربية مقابل كل لفظة لاتينية فيها سابقة أو لاحقة، كل ذلك من أجل تكلف ترجمة اللفظة الواحدة بلفظة واحدة.

غير أن جهوداً كبيرة صارت تُضَيِّع اليوم عبثاً في هذا السبيل. ومن أمثلة ذلك المحاولات العقيمة التي بدأت منذ بضعة وأربعين عاماً لاختيار وزن أو صيغة عربية بلفظة واحدة للألفاظ المنتهية باللاحقة -able (أو -ible أو -ble) على غرار Breakable. ولقد كان جدل وخلاف طويل شارك فيه علماء وهيئات وجامع علمية ولغوية. وما اقترح لتلك اللاحقة اليتيمة، في أوقات مختلفة، أن تُستعمل صيغة (الفعل المضارع) لمعنى اللازم أو لمعنى موقوع الفعل، وصيغة (المضارع المبني للمجهول) للواقع عليه الفعل، ووزن (فعل)، و(فعل)، و(مستفعل)، و(مفعّل)، والخلاف لما ينته بعدد. غير أن نظرة سريعة إلى أي من هذه الأقيسة يمكن أن تُظهر بطلانها وتهاونها. فقد يصحّ في صيغة (المضارع) أن يقال مثلاً (هذه

المواد تنضغط) Compressible و(تلك حال تتغير) Changeable و(فاكهة تؤكل) Edible، لأنه قد يُفهم من كل ذلك معنى (الثبوت) المراد بهذه الألفاظ. ولكن المضارع قد لا يُفهم منه دائماً هذا المعنى وإنما قد يراد به أيضاً معنى (الحدوث) لأنه يقترن بزمان يتحمل الحال أو الاستقبال كما يعرفه النحاة. ومن هنا قد لا يحسن مثلاً أن يقال (هذا الرجل يطّلع) مقابل Knowledgeable إذ قد يُفهم من ذلك أنه (يطّلع الآن) بدلاً من (واسع الاطلاع). ولا أن يقال (هذه المادة تضاف) مقابل Addible فقد يُفهم من ذلك (يجب أن تضاف) Is to be added بدلاً من (ممكنة الاضافة)، وفي كل ذلك مدعاة للبس. ولئن صحّ في وزن (فعل) أن يقال (ماء شريب) Drinkable وهو مسموع، فلا يحسن أن يقال (شخص فهم) مقابل Comprehensible لأن (الفهم) صاحب الفهم والمراد (مفهوم). وقد يصحّ في وزن (فعل) أن يقال أيضاً (ماء شروب) Drinkable وهو مسموع، ولكن لا يحسن أن يقال (سماك أكل) مقابل Edible لأن الأكل (الكثير الأكل) والمراد (الصالح للأكل). ويمكن في وزن (مفعّل) أن يقال (هذا كرسي مريح) Comfortable ولكنه يتهاقت في مقابل I am comfortable فلا يصحّ فيه (مريح) وإنما يقال (أنا مرتاح). ويمكن في زنة (مستفعل) أن يقال (مستفيد) مقابل Manageable وهو مسموع من استقاد له أي انقاد وخضع، ولكن لا يصحّ أن يقال (مستطلع) مقابل Knowledgeable لأن المستطلع هو (الذي يسأل عن الأمر أو يطلب الرأي) والمراد هنا (الواسع الاطلاع).

ولكن لِمَ كُلُّ هذا التكلف والتعسف وكثير من هذه المكسوعات يترجم بلفظ واحد بحسب طبيعة معناه مثل Suitable (لائق) وPeaceable (مُسالم) وAudible (مسموع) وAcceptable (مقبول)

وPlacable (متسامح) وTerrible (مخيف) وSoluble (ذائب) وComfortable (مريح) أو (مرتاح) بحسب المعنى، وSensible (حساس) أو (محسوس) كذلك، وChangeable (متقلب) وComprehensible (مفهوم) وBearable (يُطاق) وEdible (يؤكل)، وغير ذلك. فإن لم يُكف لفظ واحد فلفظان. وقد اتبع أسلافنا ذلك فقالوا (قابل للضغط) Compressible و(جدير بالاحترام) Respectable و(صالح للشرب) Potable و(واسع الاطلاع) Knowledgeable و(سهل المنال) Accessible و(كثير الدوران) Voluble و(محب للاحسان) Charitable و(يستحق العبادة) Adorable و(واجب التنفيذ) Executable و(سريع التهييج) Excitable و(خاضع للضريبة) Dutable⁽⁵⁾. وهم لم يجدوا في ذلك ضيرا. كما لم يجد الانكليزي ضيرا في ترجمة صيغة اسم المكان التي هي من خصائص لغتنا أيضا بلفظين، فنقول (مَرَسَم) و(مَسْبَح) و(مَجَزَر) ويقولون Drawing office وSwimming pool وSlaughter house، ولا يقف ذلك حجر عثر في طريق العلم.

فحوى القول أننا لسنا بحاجة إلى التزام صيغة أو وزن معين لترجمة كل لفظة أجنبية مؤلفة من جذر وسابقة أو لاحقة. ولو أننا تذكرنا ما عليه كثير من المشتغلين في العلوم من قلة البضاعة في اللغة العربية وفقهها لأدركنا فداحة الأخطاء التي قد تنجم عن التزام مثل هذه الأقيسة في ترجمة الألفاظ والمصطلحات.

وأفدح من ذلك أن نتكلف اختيار مقابل

عربي معين لكل سابقة أو لاحقة أجنبية ثم نُلصقه إصاقا باللفظ العربي، فهو ليس من طبيعة نقل اللغات، كما اتضح من صعوبة نقل حروف الزيادة العربية إلى اللغات الأوربية، فضلا عن أن كل سابقة أو لاحقة من هذه الملصقات الأجنبية التي تعدّ بالآلاف قد يكون له معان كثيرة كما اتضح من مثال اللاحقة التي ذكرنا.

لا نستعمل ألفاظا نصفها عربي ونصفها الآخر أعجمي :

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعضهم يذهب أبعد من ذلك كثيرا فيُصّر من فرط انبهاره بلغة أجنبية على إصاق اللاحقة اللاتينية أو اليونانية كما هي باللفظ العربي، وفي ذلك ما فيه من مسخ للغتنا الجميلة وطمس لهويتها. فمن أمثلة ذلك أنه ظهرت حاجة في اللغات الأوربية خلال النصف الأول من هذا القرن إلى تسمية وحدات وجسيمات من أشياء متناهية في الصغر في الفيزياء النووية، فعمدوا إلى استعمال اللاحقة اليونانية -on التي اصطُلحوا بها للدلالة على معنى (الوَحْدَة الأصغرية أو الجُسيم الابتدائي) من الشيء وإن كان أصل معناها (الذهاب)، فألصقوها بالجذور اللاتينية أو اليونانية الدالة على تلك الأشياء للحصول على مصطلحات مثل Electron وPhoton وPhonon (وهذه كانت قد ظهرت في أواخر القرن الماضي) وNeutron وNucleon وProton، وغيرها. ومعاني جذور هذه الأشياء على التوالي، (صوت) و(ضوء) و(كهرب) و(نواة) و(متعادل) و(أول - أو ابتدائي)⁽⁶⁾. ولقد كانت

(5) انظر: الملائكة، الدكتور جميل - «في ترجمة المكسوعات ب-able و-ible و-izable ومحاذير القياس»، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزعان الثالث والرابع، المجلد الثاني والثلاثون، ص ١٦٧ - ١٨٥، بغداد، تشرين الأول ١٩٨١

Webster's Ninth New Collegiate Dictionary,
Merriam Webster Inc., Publisher, Springfield, Mass.
U.S.A., 1983.

(6) انظر:

المصطلح يوضع لأدنى علاقة بالمعنى :

ولكن لا ننس أن المصطلح يوضع لأدنى ملاسة بالمعنى. وحتى هذه المصطلحات الأجنبية نفسها ليست دلالتها اللغوية البسيطة بمؤدية معانيها العلمية الدقيقة. لولا أنها اصطلاح بها لهذه الأغراض. ومن ثم فليس من الصعب إطلاقا الاصطلاح بمقابلات عربية لها، من دون الانقياد لشكل تركيبها، إذا استعان المشتغل بالعلوم أهل اللغة في ذلك.

أما الادعاء بأن أكثر المصطلحات الأجنبية يؤدي من المعاني الدقيقة ما لا تؤديه الألفاظ العربية فهو كلام لا يصدر إلا عن غير متضلع في اللغة الأجنبية ولا عارف بدقائق اللغة العربية.

ضرورة الحد من شيوع الألفاظ الأعجمية :

ويُفرض بنا هذا الكلام أخيرا إلى ضرورة العمل على الحد من تكاثر شيوع الألفاظ الأعجمية على غرار (الراديو) و(التلفون) و(البندول) و(الفرامل) و(الايستوتوب) و(الاهليكوتر) و(الكمبيوتر)، التي يُصير على بقائها بعض المبهورين باللغات الأجنبية متذرعين بمختلف الحُجج مثل دقة دلالة اللفظ الأجنبي في حين أن دقة الدلالة لا تأتي إلا بعد التواضع والاصطلاح على المعنى، أو بعالمية المصطلح وليس الأمر كذلك في أي من هذه الألفاظ أو أشباهها، أو بصعوبة المقابلات العربية المقترحة لهذه الألفاظ وغرابتها مع أن المصطلح لا يبدو صعبا أو غريبا إذا شاع استعماله وتداولته الألسنة.

حصيلته إصرار هؤلاء على إبقاء اللاحقة الأجنبية وترجمة الجذر إلى العربية المصطلحات الغربية (صوتون) و(ضوؤون) و(كهرون) و(توؤون) و(ابتدائيون) و(متعادلون)، الخ. وهم لتشبههم بهذه اللاحقة الأجنبية وشدة إعجابهم بها يحتجون بأن أهل الاندلس ألقوا الواو والنون ببعض الأسماء على غرار (حمدون) و(زيدون) للتجيب وهو يشبه التصغير. ولكن كيف توحى ألفاظ (ضوؤون) و(كهرون) و(متعادلون) بمعنى التناهي في الصغر وأظهر ما في هذه الواو والنون معنى الجمع الذي يكاد يناقض دلالة التصغير؟ ولم كل هذا التمسك باللاحقة الأجنبية والانقياد لخصوصيات لغة غريبة عن لغتنا وافتعال الحُجج لها مهما كانت واهية؟ ليس أسهل وأقل امتنانا للعربية وتشويها لصفاتها أن نستعمل صيغة التصغير العربية فنقول مثلا (صوتية) و(ضوتية) و(كهيرية) و(نوتية) و(بديثة) و(معيدلة)، الخ؟ وماذا سيكون مصير العربية العلمية لو أن جُل أسمائها يصبح على غرار (صوتيم) و(صوتيك) و(صوتون) و(صوتولايت)، و(كهريود) و(كهرون) و(كهريوم) و(كهريولايت) و(كهريوليسس) لتقابل مصطلحات Phoneme و Phonics و Phonon و Phonolite (وهو صخر بركاني له رنين عند دقه)، و Electrode و Electron و Electram (وهو سبيكة من الذهب والفضة) و Electrolyte و Electrolysis، الخ؟

لعله أفضل أن يبقى استعمال بعض هذه المصطلحات الأجنبية إذا استعصت ترجمتها على المشتغل بالعلوم إلى حين وجدان مقابلات لها عربية، من أن نحولها إلى ألفاظ نصفها عربي ونصفها أعجمي.